

السُّهَال والتجفاف في نصوص مُعالِجَةِ المَعِدَةِ

تحرير: د. موزة بنت محمد الربان

2026-01-12

بعد أن تتبّعنا في المقال السّابق حضورَ الصُّفراء والمرارة في خطاب الطّبّ البابليّ، يصبح الانتقال إلى السُّهَال منطقيّاً؛ لأنّ نصوص «مُعالِجَةِ المَعِدَةِ» لا تفصل بين ما نسقيه اليوم اضطراباً صفراوياً وبين ما ينعكس على الأمعاء إخراجاً وتقلُّصاً وفقداناً للسّوائل. وفي هذا المفصل تحديداً تتجلى قوّة «مُعالجة/رسالة المَعِدَةِ» ضمن موسوعة نينوى الطّبية: مادّة تُركّب العَرَض، وتبني عليه الوَضْعَة، وتُسندُه أحياناً بتعويدة/صياغةٍ سببيةٍ وطقيسٍ علاجيّ.

(blogs.fu-berlin.de)

1- كيف سقى البابليون السُّهَال؟ (لغةٌ تصف قبل أن تُصنّف)

من أهمّ ما يلفت في الطّبّ المسماري أنّه يستعير مفرداتٍ حسيّة/تصويريّة لوصف ما يجري في الجوف. ومن ذلك التعبير السومريّ «šà si-sá» ومعناه الحرفيّ قريب من (استقامة الداخل)، وهو في الاستعمال الطّبّيّ (يدلّ غالباً على السُّهَال)، ويُقابل بالتصوّر «الطبيعيّ» للأمعاء على أنّها ملتفة/ملتوية. هذا التمثيل (استقامة/التفاف) ليس «تشريخاً» بالمعنى الحديث، بل (لغةٌ ملاحظة) تُترجم تغيّر حركة الأمعاء وخروجها. ([Brill](https://brill.com)) ومن هنا يمكن فهم كثير من العبارات التي تبدأ بالملاحظة ثم تنتهي بالتدبير: الطبيب لا يُعلن «تشخيصاً اسمياً» بقدر ما يلتقط نمطاً (تكرار، سيلان، حرارة، ألم...) ثم يربطه بوصفٍ أو إجراء.

2- السُّهَال عَرَضٌ... وقد يصير «باب مرض»

النصوص التي نقرأها ضمن تقاليد نينوى لا تتعامل مع السُّهَال على أنّه ظاهرة منفصلة دائماً؛ بل يظهر أحياناً باعتباره (علامةٌ ضمن شبكة): حُمى، عِلّ صفراويّة، اضطراب معدّي/معويّ... وهذا يتّسق مع طبيعة المجلّد المرجعي (BAM 11) الذي يقدّم «أوسع صورة» لكيفية معالجة (اعتلالات الجهاز الهضميّ)، والأمراض المرتبطة بالصُّفراء، والحُميات، ومنها السُّهَال) في تقاليد بلاد الرافدين. (blogs.fu-berlin.de) والأهمّ هنا أنّ ترتيب المادّة في «مُعالجة

المعدة» يُشعرك بأنَّ السُّهال ليس حدثًا عابرًا، بل (موضعٌ قلقٍ علاجيٍّ) لأنَّه يفتح باب الضعف، وربّما الامتناع عن الطعام، وربّما امتداد الألم إلى أسفل البطن.

3- التَّجْفَافُ: ما الذي «يلتقطه» النِّصُّ قبل أن نسقيه جفأً؟

مصطلح «التَّجْفَاف» بمفهومه الحديث قد لا يَرُدُّ بهذه الصيغة، لكنَّ منطق العلاج يوحي بأنَّ المعالجين كانوا واعين بخطورة (فقدان السوائل) المصاحب للسُّهال: فالتركيز لا ينحصر في إيقاف الخروج، بل يمتدُّ إلى (استرجاع القوَّة) وتهدئة «اضطراب الجوف». وهذه قراءةٌ استنتاجيةٌ من طبيعة التعامل مع عِلِّ المعدة ضمن موسوعةٍ علاجيةٍ تجمع وصف الأعراض + وصفات الأدوية + تعاويذ/تعليقات + طقوس تطبيق. (blogs.fu-berlin.de)

4- من الوصف إلى الوصفة: ثلاث طبقات علاجية تتكرَّر في الطبِّ المسماري

حين ننظر إلى التراث البابلي/الاشوريِّ كما يقدهم الباحثون، نرى أنَّ العلاج لا يتَّخذ مسارًا واحدًا، بل يعمل غالبًا على ثلاث طبقات متسندة:

الطبقة الدوائية (الصيدلانية): وفيها تننوع الأشكال: أشربة، مراهم، لُصوقات، وربّما لبوس/تحاميل... أي إنَّ التدخَّل يتبدَّل بحسب موضع الألم وطريقة «الوصول» إلى العضو المقصود. ويُنَبِّه ماركهام غلر إلى أنَّ الوصفات تعالج أعراضًا مثل الحمى والألم والسُّهال بأدوية تُقدِّم في صور صيدلانية متعدّدة (جرعات تُشرب، مراهم، تحاميل...). (Archive.org)

الطبقة الإجرائية (طريقة الاستعمال): ليست المكوّنات وحدها هي «الدواء»، بل طريقة التحضير والتطبيق: سحق، خلط، تسخين، تكرار، توقيت... وهذه الخصائص تُحوّل الوصفة من «قائمة مواد» إلى «بروتوكول» صغير.

الطبقة التفسيرية/الطقسية: وفيها تُستدعى تعاويذ أو صيغ تُشبه «التعليق» (لماذا حدث الألم؟ كيف يُطرَد؟) ويقترن ذلك بعملٍ تطبيقيٍّ. وهذه السُّمة جزء أصيل من مادة «رسالة المعدة» كما يصفها عرضُ المجلّد: نصوصٌ مركّبة من وصف أعراض، ووصفات أدوية، وتعاويذ، وطقوس شفاء. (blogs.fu-berlin.de)

الفكرة المهمّة هنا: أنّ «الطبِّ» لم يكن عندهم قسمين منفصلين (علمي/سحري)، بل ممارسة واحدة تُزاوج بين ما هو دوائيّ محسوس وبين ما هو لغوي/رمزيٌّ مُساعد.

ماذا نُضيف لنا دراسة السُّهال في هذا السياق؟

تُظهر أن الطَّبَّ المسماري يملك (لغةً سريريّة) تلتقط التغيّر الجسديّ بعبارات دقيقة نسبيّاً (مثل تشبيهه «استقامة الداخل»). (Brill)

وتؤكّد أنّ موسوعة نينوى الطبيّة ليست مجردّ تجميع عشوائي، بل مشروعٌ نصّيّ يُحاول ترتيب المعرفة العلاجيّة وتداولها؛ وهو ما تعمل مشاريع حديثة على إعادة بنائه وجعله متاحًا. (Oracc)

خاتمة (جسرٌ إلى المقال الثامن)

إذا كان مقال الصُقراء قد أبرز “لغة الأخلط قبل الأخلط”، فإنّ مقال السُّهال يُرينا “لغة السوائل قبل نظريّة السوائل”: كيف تُصاغ الملاحظة في عبارة قصيرة، ثم تُبنى عليها وصفة وإجراء وربّما تعليلٌ طقسيّ. وفي المقال القادم نقترح الانتقال إلى: الإمساك/الانتفاخ وآلام التقلُّص بوصفها الوجه الآخر لاضطراب الأمعاء في نفس تقليد «مُعالِجة المعدة».

لوْحٌ طينيّ يتضمّن وصفةً طبيّة (Mesopotamian medical prescription)، ملكية عاقّة (Wikimedia Commons)



للتعريف بالمرجع الأساس للسلسلة (BAM 10) وبمراجعة الكتاب، راجع هذه الورقة المرجعية

المراجع:

,Johnson, J. Cale & Simkó
Gastrointestinal Disease and Its .Krisztián
(BAM 11) Treatment in Ancient Mesopotamia: The Nineveh Treatise
(إتاحة مفتوحة؛ عرض عامّ للمحتوى وطبيعته ضمن موسوعة نينوى الطبيّة).
(blogs.fu-berlin.de)

حول مصطلح «استقامة الداخل» ودلالته على السُّهال في النصوص الطبيّة (Brill)

PDF Ancient Babylonian Medicine .Geller, Markham J

مفتوح) - إشارة إلى معالجة أعراض مثل السُّهال ضمن ترسانة وصفات وأشكال دوائيّة متعدّدة. (Archive.org)

NinMed (The Nineveh Medical Project) تعريف بالموسوعة الطبية النينوية
ومشروع إتاحتها. (Oracc)

البريد الإلكتروني: mmr@arsco.org

[/https://arsco.org/articles/article-detail-48307/](https://arsco.org/articles/article-detail-48307/) <https://arsco.org>
[-articles/article-detail-48236/](https://arsco.org/articles/article-detail-48236/) <https://arsco.org/articles/article>
[://:detail-48111/](https://arsco.org/articles/article-detail-48111/) <https://arsco.org/articles/article-detail-48077/> https://arsco.org/articles/article-detail-48024